HAL
open science

Report on the European Science Foundation Exploratory Workshop on the Neolithic of Arabia held in Lyon, France [in Arabic]

Rémy Crassard, Philipp Drechsler

▶ **To cite this version:**

Rémy Crassard, Philipp Drechsler. Report on the European Science Foundation Exploratory Workshop on the Neolithic of Arabia held in Lyon, France [in Arabic]. Adumatu, 2013, 27, pp.89 - 92. hal-01828602

HAL Id: hal-01828602

https://hal.science/hal-01828602

Submitted on 2 Sep 2018

HAL is a multi-disciplinary open access archive for the deposit and dissemination of scientific research documents, whether they are published or not. The documents may come from teaching and research institutions in France or abroad, or from public or private research centers.

L'archive ouverte pluridisciplinaire **HAL**, est destinée au dépôt et à la diffusion de documents scientifiques de niveau recherche, publiés ou non, émanant des établissements d'enseignement et de recherche français ou étrangers, des laboratoires publics ou privés.

مؤتمرات وندوات علمية

ورشة عمل حول العصر الحجري الحديث في الجزيرة العربية

الجهة المنظمة: المؤسسة الأوربية للعلوم، والمركز الوطني للعلوم الإنسانية والاجتماعية - فرنسا.

مكان الانعقاد: مدينة ليون، فرنسا.

تاريخ الانعقاد: إبريل ٢٠١٢م.

إعداد: د. ريمي كراسارد، ود. فيليب دريكسلر
ترجمة: د. عبدالله بن محمد الشارخ

بدعم من المؤسسة الأوربية للعلوم في مدينة ليون بفرنسا، عقدت ورشة عمل تشاورية، بعنوان: (العصر الحجري الحديث في الجزيرة العربية: رؤى جديدة وآفاق مستقبلية)، حضرها نخبة من الزملاء الباحثين من أوروبا وأمريكا والجزيرة العربية، ضمت ثلاثين مشاركًا. تمحور اللقاء حول العصر الحجري الحديث في الجزيرة العربية، وهي فترة حضارية تُمثل أحد أبرز القفزات في التاريخ البشري.

لقد تزامن العصر الحجري الحديث مع فترة "الهولوسين"، إذ تمكّن الإنسان من تكوين اقتصاد قائم على إنتاج الغذاء، بدلاً من الاقتصاد المعتمد على الصيد وجمع الغذاء، في أجزاء متعددة من العالم. أظهر الحوار الذي دار في هذا اللقاء أن الجزيرة العربية مرت بتغيّرات اجتماعية، وليس فقط اقتصادية، كما هو الحال في أنحاء عديدة من العالم. وإضافة إلى تطور الإنتاج الاقتصادي في الجزيرة العربية، فقد شهدت تغيرات في العلاقات التجارية، أدت بدورها إلى انتقال الأفكار وتلاقحها بين الجماعات البشرية المختلفة.

أظهرت الدراسات الأثرية عبر عقود من العمل الأثري أن الجزيرة العربية ليست منطقة منغلقة على نفسها، إذ تأثرت بالحضارات التي قامت إلى الشمال منها؛ كما مرت الجزيرة العربية بتطورات حضارية، أدت إلى بزوغ حضارات ذات طابع متميز. لقد ظهرت مدرستان فكريتان في ساحة البحث الآثاري حول ذلك، وحول تطور العصر الحجري الحديث في الجزيرة العربية؛ إحداهما ترى وجود دور كبير للمجتمعات المحلية في تطور هذا العصر، بينما تغلّب الأخرى الدور الحضاري للتأثيرات الخارجية من المناطق المحيطة بالجزيرة العربية. ولوجود هذا الانقسام الفكري حول هذا الموضوع، فقد ارتأى مُنَظِّما ورشة العمل ضرورة جمع الباحثين المنتمين إلى معاهد وجامعات متنوعة؛ لإتاحة الفرصة لهم لطرح رؤى جديدة، من لأجل تحقيق رؤية واضحة وشمولية حول العصر الحجري الحديث في الجزيرة العربية.

ستظهر نتائج هذه الورشة في عدد خاص من مجلة **Arabian Archaeology & Epigraphy** في مايو ٢٠١٣م. تم تنظيم الأبحاث المقدمة وفقًا للموقع الجغرافي، لإتاحة الفرصة للقارئ من أجل الربط بين الآثار وموقعها الجغرافي، وكذلك المفاهيم والنظريات المرتبطة بها. لقد تضمنت التساؤلات البحثية للورشة النظر في الرؤى والمفاهيم التي بدت غريبة على الجزيرة العربية، وكذلك البحث حول التسلسل الحضاري والمواد الأثرية التي تنتمي للصناعات الحجرية لهذا العصر. كما نوقشت الفرضيات الفعلية التي تناولت هذا العصر، والتي تنحى مناحٍ متعددة؛ كالبيئات القديمة، والتغيرات المناخية، وتصنيفً الأدوات الحجرية وتقنياتها، وجوانب عامة حول السلوك الحضاري ونمط الاستيطان.

افتُتِحَتْ الورشة من قبل آن شميث وإيمانويل فيلا، وهما يمثلان **Maison de l'Orient et de la Méditerranée** ومعمل **Archéorient CNRS** في مدينة ليون، وفي كلمتهما الافتتاحية، تحدثا حول التاريخ الطويل للقاءات والمؤتمرات التي سبق تنظيمها من قبل **Maison de l'Orient**، وقد

أعربا عن أملهما في أن تتمكن ورشة العمل هذه من فتح آفاق للحوار العملي، وتحقيق الفرصة في تأسيس مشاريع بحثية مشتركة وإثرائها.

كما رحّب مُنَظِّما ورشة العمل، ريمي كراسارد وفيليب دركسلر بالمشاركين، وقدّما نبذة عامة عن برنامج اللقاء وأهدافه. وأعقب ذلك، محاضرة للبروفيسور موريسيو توزي بعنوان "العرب جامعو الغذاء في عصر الهولوسين الأوسط – التبادل التجاري والتحالف كنمط معيشي في فترة ما بعد البلايستوسين للتأقلم مع نقص الغذاء وغيابه". وكأحد أبرز أوائل الباحثين في دراسات آثار الجزيرة العربية لفترة ما قبل التأريخ، فقد أشار توزي إلى أهمية التعاون بين الأفراد كإستراتيجية لمقاومة تأثير الضغوط البيئية، والتمهيد لنشوء المجتمعات المتطورة «Complex Societies»، وهو ما يعطي منظوراً جديداً لنظرية التطور المستقل للمجموعات البشرية، خلال فترة ما قبل التأريخ بالجزيرة العربية.

وفي اليوم الثاني، بدأت ورشة العمل بكلمة لممثل منظمة العلوم الأوربية، البوفيسور "بله كاسبا"، الذي عرّف بالمهام الأساسية للمنظمة، وأهمية ورش العمل التشاورية، تحديداً. عقب ذلك، بدأت الجلسة الأولى (العصر الحجري الحديث في الجزيرة العربية: المفهوم والإطار النظري)، بمحاضرة لمنظمي ورشة العمل، ريمي كراسارد وفيليب دركسلر، عنوانها: "مسارات متعددة للعصر الحجري الحديث في الجزيرة العربية"، أشار الباحثان فيها إلى التطورات المتعددة التي شهدتها تلك الفترة الحضارية في الجزيرة العربية. ومن خلال هذه الورقة، أبرز الباحثان الحاجة لعقد ورشة العمل هذه، بغرض تجاوز النظريات القديمة، وعدم الوقوع في مأزق النماذج المبسّطة للتطورات الحضارية في الجزيرة العربية. وقد تم تسليط الضوء على هذه الجزئية من قبل د. عبدالله بن محمد الشارخ في الورقة اللاحقة، الذي أشار إلى ضرورة وضع إستراتيجية طويلة المدى لدراسة العصر الحجري الحديث في الجزيرة العربية، وكشف في ورقته عن قصور معلوماتنا عن هذه الفترة في معظم أنحاء الجزيرة العربية، والحاجة الماسة لوضع خطة إستراتيجية ذات معايير علمية عالية في جميع دول الخليج العربي.

ولعل من أكثر القضايا البحثية تعقيداً في الحوارات العلمية المعاصرة، تتمثل في معرفة أصل العصر الحجري الحديث في الجزيرة العربية، والتي تم التطرق لها في ورقتين بحثيتين، الأولى قدمت من قبل فنسنت شاربنتيير وريمي كراسارد، والثانية من قبل هانز- بيتر اوربمان. وعلى الرغم من تناولهما لظهور العصر الحجري الحديث من زاويتين مختلفتين، (الأدوات الحجرية) من قبل شاربنتيير وكراسارد، و(البقايا الحيوانية) من قبل أوربمان، إلا أن كلاهما قد أظهرا تأثيراً واضحاً من منطقة بلاد الرافدين، وأبرزا في الوقت نفسه، وجود دلالات تطور مستقل للمجموعات البشرية في الجزيرة العربية.

وبدأت الجلسة الثانية "الانتشار البشري، والتبادل التجاري والاستيطان في المرتفعات اليمنية" بمحاضرة لهيكو كالويت عن مواقع العصر الحجري الحديث في المرتفعات اليمنية وبيئتها الطبيعية، وقد أظهر الباحث في ثنايا المحاضرة، حجم الدمار الذي تعرضت له العديد من المواقع الأثرية، بما في ذلك المناطق النائية، وهو ما يظهر الحاجة إلى وضع خطة لتأهيل المواقع الأثرية في الجزيرة العربية وإدارتها. وقد تم تناول الموضوع ذاته من قبل فرانشيسكو فيدل، والذي أظهر دور العوامل البيئية في اختيار مواقع العصر الحجري الحديث، ونمط توزيع المنشآت داخل الموقع الأثري. وتناولت الورقة التالية للباحثة لمياء الخالدي التركيب الجيوكيميائي لصخور الأوبسيديان في المرتفعات اليمنية، وكذلك في مواقع العصر الحجري الحديث في كافة أنحاء الجزيرة العربية، إذ أظهرت الباحثة نمط التوزيع الجغرافي والعلاقات بين المناطق المختلفة، حيث وجدت دلالات على التواصل بين اليمن والكويت من خلال هذه الدراسة.

وفي الجلسة اللاحقة، جرى تناول العلاقة بين البيئات القديمة والنشاط البشري، خلال عصر الهولوسين المبكر والوسيط. وفي ورقتها حول الدراسة التي قامت بها الباحثة آن ماري ليزين في موقع الحوا باليمن، أظهرت حساسية البيئة القديمة للتغيرات المناخية، من خلال دراسة البقايا النباتية والدلالات الجيمورفولوجية لها. وقد أسهمت ورقتان لاحقتان في تسليط الضوء على الموضوع

نفسه، أولاهما لادريان باركر، والثانية لدومينيك فليتمان، قدمهما الباحث الأول نظراً لغياب الباحث الثاني، وقد أظهر الباحثان حدوث تغيّرات مناخية في الجزيرة العربية في عصر الهولوسين المبكر والوسيط، وأثّر ذلك على نمط الاستيطان والموارد الغذائية.

أما ورقة جين- فرانسوا بيرجر وزملائه فقد بيّنت أثر التغيرات البيئية على المجتمعات البشرية على مستوى المنطقة، وذلك من خلال دراسة التغيرات الجيمورفولوجية الدقيقة على مستوى الموقع الأثري والتكوينات الطبيعية، على امتداد ساحل خليج عُمان، والتي أظهرت تفسيرات مؤكدة لتغيّر نمط الاستيطان واستغلال الموارد البيئية المتعددة. كما سلطت الورقة التي قدمتها مارجريتا تينقبيرق الضوء على الإستراتيجيات المستخدمة في استهلاك النباتات، ونمط توزيعها خلال العصر الحجري الحديث، وقد أبرزت هذه الورقة تساؤلات عديدة حول أصل الزراعة في الواحات والاستفادة من النباتات في الجزيرة العربية في فترة ما قبل التأريخ، ما جعل الباحثة تطالب بإجراء مزيد من الدراسات للنباتات القديمة في الجزيرة العربية. وقد غطى التنوع الموضوعي لهذه الجلسة مجالات عديدة شملت التغيّر المناخي العالمي والتغيرات البيئية في مناطق جغرافية محدودة، وهو ما أظهر العلاقة الطردية بين السلوك البشري والتغيرات المناخية المتعددة، ما حدا بالجماعات البشرية إلى تطوير إستراتيجيات متنوعة للتأقلم على الأوضاع المختلفة التي مرت بهم.

تلا ذلك، جلسة ترأسها باولو بياجي، بدأها بمحاضرة حول دراسة حديثة لأكوام الأصداف على ساحل "لابيلا" ودلتا نهر الإندوس في باكستان. وعلى الرغم من كون موضوع الورقة خارج الإطار الجغرافي لورشة العمل، فقد أسهمت بطريقة غير مباشرة في إبراز الآفاق الجغرافية للموضوع، وتشجيع الحوار الذي دار حول أوراق العمل التي قدمت.

وفي اليوم التالي، ابتدأت الورشة بورقة لجوي مكورستون بعنوان "العصر الحجري الحديث في الجزيرة العربية: رؤية من الجنوب"، تناولت الباحثة فيها العصر الحجري الحديث جنوبي الجزيرة العربية في المناطق المنبسطة. وقد أظهرت نتائج دراستها الميدانية جنوب موقع "جل" باليمن اختلاف القدرات البشرية، والدور الاجتماعي للعمل الجماعي ، مع أخذ أهمية الزيارات الدينية والأضاحي بالاعتبار كإستراتيجيات اجتماعية طويلة المدى في الجزيرة العربية. تلا ذلك ورقة ليوريس زارينس حول مواقع العصر الحجري الحديث في نجد، بإقليم ظفار، والتي بالرغم من أثر التركيبة الجيمورفولوجية للمنطقة على حالة الموقع الأثري، إلا أنه أمكن تأكيد الوجود البشري المؤكد في فترة العصر الحجري الحديث. وفي المقابل، قدم جفري روز وزملاؤه ورقة ذات طابع مختلف، أشارت إلى تأثير جماعات الصيادين- جامعي الغذاء على تطور العصر الحجري الحديث، بناءً على الأدلة الجينية. وعلى الرغم من أن هذه الدراسة اعتمدت على دراسة أصول المجتمعات الحالية في ظفار من خلال تحليل DNA، والذي يُظهر وجود دلالات لأصول مبكرة تعود لعصر البلايستوسين في أنحاء الجزيرة العربية. إلا أن تأكيد نتائج هذه الورقة ظهر في ورقة ليماندو هلبرت، والذي نقب في موقع خمسين بظفار، والذي يعود للهولوسين المبكر. وقد أظهرت الدراسة وجود تتابع طبقي بالموقع، والذي يظهر مرحلة انتقالية من نهاية العصر الحجري القديم إلى العصر الحجري الحديث. وقد أعقب ذلك نقاش حول أهمية الدراسات الجينية في الجزيرة العربية، واقترح بعض الباحثين توسيع التركيز في البحث حول أصل الجماعات البشرية في الجزيرة العربية إلى تتبع أصول الحيوانات المستأنسة، مثل: الأغنام، والماعز، والأبقار.

وفي الجلسة التالية، تم التركيز على شبه الجزيرة العمانية بوجه خاص لما احتوته من كثافة بمواقع العصر الحجري الحديث. وبحكم طبيعة استيطان هذه المواقع من قبل مجموعات متنقلة، فإنها تمتاز بالاستغلال الكثيف للموارد الغذائية البحرية خلال دورة التنقل السنوي لأفراد المجموعات البشرية. وقدمت صوفي ماري وفنسنت شاربنتيير ورقة حول أبحاثهما حول بحيرة أم القيوين، بالإمارات العربية المتحدة، وقارنا نتائج بحثهما مع نتائج التنقيبات الأثرية على امتداد ساحل خليج عُمان. وسلطت الورقة الضوء على عدة خصائص مشتركة، من حيث

البقايا الأثرية والفترة الزمنية، ما يشير إلى وجود روابط ثقافية. تلتها ورقة قدمها مارك بيتش وزملاؤه ركزت على استغلال الموارد البحرية كمصدر غذائي. وبينما يعد جمع القواقع البحرية وصيد الأسماك الصغيرة ذات دور ملحوظ في اقتصاد الجماعات البشرية، فإن الباحثين أظهروا وجود دلالات قوية على صيد سمك القرش، والاستغلال المتخصص لصيد حيوان الأطوم البحري.

وفي الورقتين الأخيرتين في هذه الجلسة، تم التركيز على نمط الاستيطان في العصر الحجري الحديث، والطقوس الجنائزية في عُمان من الألف السادسة إلى الألف الرابعة قبل الميلاد. وقد تناولت ورقة فابيو كافولي نتائج الأبحاث الميدانية من موقع رأس الخبة، والذي أستوطن مرات عديدة، ويحوي كثافة عالية لبقايا أكواخ ومجموعات متنوعة من البقايا الأثرية. وأما الورقة الأخرى، فقدمتها أوليفيا مونوز حول تحليل وتصنيف قبور العصر الحجري الحديث في موقع رأس الحمراء RH5، وموقع رأس الخبة وموقع وادي شاب GAS-1. وقد أسهمت حالة الحفظ المتميزة لهذه المواقع لإبراز الأنماط المختلفة من الممارسات الجنائزية، ومن ذلك: معالجة جسد الميت، وتصميم المدفن، والنتائج بخصوص العلاقة المكانية بين أماكن الأحياء والأموات.

وفي الجلسة الأخيرة لورشة العمل، "العصر الحجري الحديث في الخليج العربي وحضارة العُبيد"، قدمت الورقة الأولى من قبل فيليب دركسلر، الذي تناول السجل الآثاري لمنطقة وسط الساحل الغربي للخليج العربي، خلال الألف الخامسة قبل الميلاد، وقيّم الأدلة التي تشير إلى وجود اتصال حضاري بين جنوبي بلاد الرافدين ومنطقة الخليج العربي. وقد أظهرت الورقة نمطاً متنوعاً ومتقدماً لمواقع العُبيد في هذه المنطقة، ما يعزّز التوجّه بوجود علاقات اجتماعية بين المجموعات الساحلية والبريّة. أما الباحثة كرستين كاينارت فقد ركزت في ورقتها على فخار العُبيد من موقع الدوسرية بالسعودية، على أنه الرابط المادي بين جنوبي بلاد الرافدين والمنطقة الوسطى في الساحل الغربي للخليج العربي، وتمثل ذلك في التبادل التجاري بين المناطق الساحلية.

وفي الورقتين التاليتين اللتين قدمهما كل من ريتشارد كتلر ولوسي دينقويل تم تناول أثر حركة الجزر الساحلي كعامل مؤثر في دفع السكان إلى الهجرة والتواصل الحضاري بين منطقة وسط الساحل الغربي للخليج العربي، وحضارة العُبيد جنوبي بلاد الرافدين؛ وقد قدم كتلر دلالات استيطان على وجود حضارة العُبيد في قطر، بينما قدمت الباحثة دينقويل دراسة متميزة باستخدام طريقة التحليل المظهري لقاع الخليج العربي، لمعاينة الأجزاء المغمورة بالمياه، حول شبه جزيرة قطر. واختتمت هذه الجلسة بورقة لروبرت كارتر حول الممارسات الاجتماعية في شرقي الجزيرة العربية خلال فترة العُبيد، مقترحًا وجود دورٍ للغذاء في توزيع فخار العُبيد القادم من جنوبي بلاد الرافدين، وهو ما جعل ظاهرة العُبيد في إطار اجتماعي أكبر.

قادت نقاشات الجلسة الأخيرة إلى الجلسة الختامية لورشة العمل والتي ترأسها مُنظِّما الورشة، اللذَيْنِ أشارا إلى الحاجة إلى توسيع قاعدة بيانات الباحثين، من خلال المزيد من أعمال البحث الميداني والتنقيبات الأثرية لمواقع العصر الحجري الحديث، وبخاصة في وسط الجزيرة العربية، إضافة إلى الحاجة إلى توحيد مصطلحات الأدوات الحجرية وتأريخ المواقع. ومن القضايا التي أبرزتها ورشة العمل، الحاجة إلى وضع خطط مستقبلية، وبخاصة أن العديد من المشاريع البحثية تركز على مواقع محددة، بينما هناك حاجة أكبر لمشاريع بحثية ذات إطار جغرافي واسع.

وفي الختام، فقد تم الاتفاق على أن تكون هذه الورشة التشاورية بمدينة ليون محطة انطلاق للقاءات مستقبلية، كل عامين، تحت عنوان: «الندوة الدولية حول العصر الحجري الحديث في الجزيرة العربية».

Dr. Rémy Crassard: Centre National de la Recherche Scientifique CNRS – UMR 5133, Maison de l'Orient et de la Méditerranée, Lyon, France.

Dr. Philipp Drechsler: Universität Tübingen, Institut für Ur- und Frühgeschichte, Tübingen, Germany.

د. عبدالله بن محمد الشارخ: كلية السياحة والآثار - جامعة الملك سعود - الرياض - المملكة العربية السعودية.